الكلمة الطيّبة والكلمة الخبيثة

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 6 شوال 1433هـ الموافق لـ 24 أوت 2012م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا {01}** " سورة النساء

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ {102}**) سورة آل عمران

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا {70} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا {71}** " سورة الأحزاب

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال

معاشر الإخوة الكرام إن أكثر مشاكل النّاس مصدرها اللّسان، إمّا عتابٌ فيه سبٌّ وشتمٌ لسبب تافه، إما ردّ فعل على مشكلة صغيرة بألفاظ نابية وعبارات قبيحة تؤجّج الخلاف والخصومة وتفضي إلى عراك أو اقتتال وأحيانًا إلى طلاق وفراق وتقاطع، أو كلمة فيه بلاغ كاذب أو غيبة مبنيّة على سوء ظنّ تخرب البيوت،

من أجل ذلك بيّن لنا جلّ جلاله قيمة الكلمة في كتابه العزيز لنولي ما نتلفّظ به اهتمامًا كبيرًا ونحسب ألف حسابٍ قبل النّطق بكلام.

قال تعالى : " **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء {24} تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ {25} وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ {26}** " **سورة إبراهيم.**

فالمشبّه هو الهيئة الحاصلة من البهجة في الحسّ والفرح في النّفس وازدياد أصول النّفع باكتساب المنافع المتتالية بهيئة رسوخ الأصل وجمال المنظر ونماء الأغصان والأشجار ووفرة الثّمار ومتعة أكلها .

والظّاهر أنّ المراد بالكلمة الطّيبة القرآن وارشاده أو قل الإسلام وتعاليمه والكلمة الخبيثة الشّرك ومبادئه وتعاليمه وعقائده.

وكما أن ثمار النّخلة ينتفع بها شتاءًا وصيفًا ، ليلاً ونهارًا فإن عمل المؤمن يرفع إلى الله صباحًا مساءًا.

وأكثر خصومات النّاس اليوم مردّها إلى الكلمة المستعجلة الكلمة غير المدروسة العواقب ، الكلمة الّتي فيها غيبة الكلمة الّتي فيها حقد وكراهية الكلمة المبنيّة على سوء الظّن بالمسلمين ، الكلمة الّتي فيها لعن وسبّ وشتم ، الكلمة الّتي ليس فيها احترام للكبير وللعالم.

ولذلك فإنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم في الحديث المتّفق عليه من حديث أبي هريرة قال : (قال صلّى الله عليه وسلّم : (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنّة)).

ولقد أكّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه لا نجاة إلاّ لمن أمسك لسانه عن إيذاء النّاس والسّبّ والشّتم واللّعن .

روى التّرمذي بسند حسن عن أبي سعيد الخذري عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال : (إذا أصبح إبن آدم فإنّ الأعضاء كلها تُكَفِّر اللّسان تقول: (اتّقِ الله فينا فإنّما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت إعوججنا)).

(تُكَفِّر أي تخضع له).

- كم من كلمة في غير محلّها تسبّبت في خصومة دامت سنوات.
- كم من كلمة غيبة فرّقت بيوتا ويتّمت صغارًا.
- كم من كلمة فيها سبّ وشتم تسبّبت في اقتتال ودخول السّجون.

ولو اقتصر الأمر على ذلك لهان لأنّ الدّنيا فانية ولكن للكلمة عواقب خطيرة يوم القيامة.

ثبت عن أبي داوود في صحيح الجامع وصحّحه الألباني في سلسلته عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (لّما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم قلت : من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الّذين يأكلون لحوم النّاس ويقعون في أعراضهم).

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله ،

من أجل ذلك فإن كتاب الله تبارك وتعالى علّم المؤمن أن يجعل كلمته مسؤوليّة كبيرة في عنقه، ولذلك قال جلّ في علاه :

" **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** {36} " **سورة الإسراء.**

الكلمة مسؤوليّة، إذا خرجت قد تحدث كوارثًا، كما أنّها قد تعمّر، وقد تبني منارات وتنير الطّريق للنّاس بطبيعة الحال، كان النّبي عليه الصّلاة والسّلام لا يفوّت كلمة تُقال أمامه في غير محلّها، مهما كانت هذه الكلمة، لّما مرّت صفيّة بنت حيي رضي الله عنها أمام عائشة رضي الله عنها، ضحكت عليها عائشة لقِصر قامتها، وأشارت بيدها، فقال لها النّبي صلّى الله عليه وسلّم: (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)، وعائشة رضي الله عنها تظنّ أنّها ما فعلت شيئًا عظيمًا، وإنّما قالت عن صفيّة أنها قصيرة فقط، لكنّ النّبي عليه الصّلاة والسّلام أنكر عليها ذلك.

فكلّ كلمة فيها غَيْبة، نميمة، إخبار النّاس بغير الحقيقة، إشاعة خبرٍ كاذبٍ، تحريش بين النّاس أو الكلام في أعراض الأسر بدون وجه حقّ يرجع سببها إلى الحسد، ولو أنّهم أخلصوا الكلام لله والعمل لله، ما فعلوا ذلك .

كلّما أقبلتَ على كلمة إسأل نفسك : (هل هذه الكلمة أريد بها وجه الله أم اريد بها إرضاء نفسي، هل أريد بهذه الكلمة إحقاق حقّ وإبطال باطل أم أريد أن أرضي حظًّا من حظوظ نفسي فقط ؟) .

ولقد أنكر نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم على عائشة رضي الله عنها حينما أفرطت في القصاص من سبّ اليهود للنّبي صلّى الله عليه وسلّم ، فقد روى البخاري عن عروة بن الزّبير رضي الله عنه أنّ عائشة رضي الله عنها زوج النّبي صلّى الله عليه وسلّم قالت : (دخل رهط من اليهود على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا: (السَّام عليكم)، فقالت عائشة : (ففهمتها) ، فقلت : (وعليكم السّام واللّعنة) ، قالت فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (مهلاً يا عائشة إنّ الله يحبّ الرّفق في الأمر كلّه)، فقلت : (يا رسول الله، أفلم تسمع ما قالوا ؟)، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (قد قلت وعليكم ، فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ).

السّام معناها الموت، أي أنّ اليهود دعوا على النّبي بالموت.

وقوله : (إن الله يحبّ الرّفق في الأمر كلّه):

مثل ما في حديث عمرة عن عائشة عند مسلم (إن الله رفيق يحبّ الرّفق، ويعطي على الرّفق ما لا يعطي على العنف).

ومعناه أنّه يتأتّى مع الرّفق من الأمور و الحقوق ما لا يتأتّى مع ضدّه.

وقيل المراد يثيب عليه ما لا يثيب على غيره وكلاهما صحيح.

ولهذا يجب أن نتعلّم ونكتسب ثقافة اللّيونة والرّفق والسّهولة في معاملاتنا، وفي حلّ مشاكلنا، وإلاّ سيصبح يتعارك لأيّ سبب أو آخر .

اللّهم أهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وقنا شرّ ما قضيت، اللّهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيته، ولا مريضًا إلاّ شفيته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قضيتها لنا ويسّرتها لنا، يا أرحم الرّاحمين. اللّهم إنّا نسألك فِعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وإذا أردت بقوم فتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين. اللّهم إنّا نسألك حبّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يقرّبنا إلى حبّك. اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك. اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة. اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا. اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذل ودمّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين، اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.